بسم الله الرحمن الرحيم
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ
الصادقين
الإسلام محتاج الى جميع أبنائه
الثلاثاء ٥ جمادى الثاني ١٤٤٢ هـ / ١٩ كانون الثاني ٢٠٢١ م العدد ٢٠٩
نشرة تصدر عن المكتب الاعلامي متخصصة بنقل أحاديث وخطابات وفتاوي وأخبار سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ (التوبة:٤٩)

فتنة توظيف العناوين الدينية لأهواء شخصية (١)

معنى الآية باختصار: أن من المنافقين من يقول لرسول الله (ﷺ) أئذن لي في ترك الجهاد والتخلف عن جيش المسلمين الذاهب مع رسول الله (ﷺ) لقتال الروم في تبوك ويبرّر ذلك بأن تكليفه بالجهاد يوقعه في المعصية ومخالفة الأمر الشرعي ويسبب له الفتنة عن الدين فيجيبه الله تعالى بأنه بسلوكه المخادع هذا قد وقع في الفتنة عن الدين وارتكب معصية كبيرة.

والآية الكريمة تكشف عن حالة منافقة يسقط فيها بعض افراد المجتمع المسلم الذين يتبعون أهواءهم ويكون همُّهم إرضاءَ أنانياتهم فإنهم حينما يريدون التنصل من مسؤولياتهم الاجتماعية وعدم أدائهم لواجباتهم تجاه دينهم وأمتهم أو يريدون تحقيق مكاسب شخصية فأنهم يسوّقون أعذاراً بعناوين دينية متظاهرين بالورع والخوف على الدين لإقناع الآخرين ومحاولة خداعهم ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة:٩).

وكشاهد على ذلك نذكر الحادثة التي نزلت فيها الآية الكريمة بحسب ما ذكره أرباب الحديث والسير والتأريخ وذلك أن النبي (ﷺ) لما بلغه اجتماع الروم في بلاد الشام لغزو المدينة والقضاء على الإسلام قرّر الذهاب لهم لمواجهتهم في عقر دارهم فاستنفر المسلمين وحثَّهم على الجهاد فاستجاب له عدد كبير من أهل المدينة وقبائل العرب التي دخلت الإسلام رغم العسرة التي كان المسلمون فيها وقعد قوم من المنافقين وغيرهم (ولقي رسول الله (ﷺ) الجد بن قيس ـ وهو من وجوه بني سلمة من بطون الخزرج وكان من المنافقين ـ فقال له: يا أبا وهب الا تنفر معنا في هذه الغزاة لعلك ان تحتفد ـ أي تستخدم ـ من بنات الأصفر ـ وهم الروم ـ؟ فقال: يا رسول الله إن قومي ليعلمون أنه ليس فيهم أحد أشد عجباً بالنساء مني، وأخاف إن خرجت معك أن لا أصبر إذا رأيت بنات الأصفر فلا تفتنّي وائذن لي أن أقيم(٢)، وقال لجماعة من قومه: لا تخرجوا في الحر، فقال ابنه: تردّ على رسول الله (ﷺ) وتقول ما تقول؟ ثم تقول لقومك لا تنفروا في الحر؟ والله لينزلنّ الله في هذا قرآناً يقرؤه الناس إلى يوم القيمة، فأنزل الله على رسوله في ذلك: (ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني الا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) ثم قال الجد بن قيس أيطمع محمد أن حرب الروم مثل حرب غيرهم؟ لا يرجع من هؤلاء أحد أبداً)(٣). فادعى هذا الشخص أنه يخاف على دينه لو أمره رسول الله (ﷺ) بالجهاد من فتنة النساء الروميات أو من فتنة الانتصار ومكاسبه عموماً أو من ويلات الحرب فيضعف أمامها أو أنه يخشى ترك أهله وأمواله فيطلب من النبي (ﷺ) الإذن له بترك الجهاد حتى لا يقع في المخالفة، ولكنه بتخاذله ونفاقه وقع في الفتنة التي زعم أنه يريد تجنبها.

وتضمنت آية أخرى ما ظاهره العتاب لرسول الله (ﷺ) على إعطائه (ﷺ) الإذن بالتخلف عن الجهاد، لكنها قدّمت أولاً الدعاء له بالعفو قال تعالى ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ (التوبة:٤٣) ولو جعلهم (ﷺ) على المحك ولم يأذن لهم؛ حتى يفتضحوا وينكشف عزمهم على المخالفة وتقاعسهم عن أداء الواجب حتى لو أمرهم رسول الله (ﷺ) بالخروج ولكيلا يجعلوا الإذن غطاء لشرعنة ارتكابهم هذه المعصية الكبيرة، قال تعالى ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ (التوبة:٤٦)، وروى علي بن إبراهيم في تفسيره عن الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسيرها (لتعرف أهل العذر والذين جلسوا لغير عذر).

فأريد من هذا الخطاب الموجّه إلى النبي (ﷺ) تنبيه الأمة إلى أن هذه الأعذار لا تنطلي على الله تعالى ورسوله (ﷺ) لكن النبي (ﷺ) لكرم أخلاقه ستر عليه ورأى عدم الفائدة في خروجه بل إن وجوده وأمثاله ضارٌ بجيش المجاهدين ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (التوبة:٤٧)، فترك الله تعالى نبيه (ﷺ) ليتصرف وفق ما تقتضيه أخلاقه الكريمة ثم أنزل ما يفضح أولئك المنافقين فتحقق بالنص الإلهي ما لم يتحقق لو لم يسبقه التصرف النبوي.

ولخطورة هذه الفتنة فقد أخرّ الله تبارك وتعالى التنبيه عليها لما بعد ظروف المعركة، ولولا حكمة النبي (ﷺ) لاستطاع هذا المنافق أن ينشر فتنته في المجتمع لأنه غلّفها بإطار ديني تنخدع به فئة من الناس ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾، نعم هناك معذورون عن الجهاد ذكرتهم الآيات الكريمة وليس هؤلاء المتخاذلون منهم.

وفي مقابل هؤلاء المتخاذلين كان المؤمنون الصادقون سبّاقين لطاعة الله تعالى ورسوله (ﷺ) من دون تردد ومناقشة ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة:٤٤).

هذه الحالة المنحرفة للهروب من المسؤولية وتبرير مخالفة أوامر الله تعالى وتسخير الواجهات الدينية لتحصيل المصالح الشخصية موجودة على كل المستويات، وأخطرها على الإطلاق ما حصل بعد رحيل رسول الله (ﷺ) حيث برّر الانقلابيون مخالفتهم لرسول الله (ﷺ) في وصيته بأمير المؤمنين (عليه السلام) بأنهم خافوا الفتنة إن أمرّوا علياً (عليه السلام) ولم يتصدوا هم للسلطة وخلافة النبي (ﷺ) فقالوا تارة ((إن قريشاً كرهت ان تجتمع فيكم ـ أي بني هاشم ـ النبوة والخلافة، فتجحفون على الناس))(٤) وقالوا ((فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت))(٥)، وكأنّ الآية الكريمة تفضح نوايا الانقلابيين وما عزموا عليه قبل وقوع الحدث بسنتين تقريباً وقد كشف الله تبارك وتعالى محاولاتهم العديدة في إخفاء الحق لكن الله تبارك وتعالى أظهره وأتمه في يوم الغدير، قال تعالى ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ (التوبة:٤٨) فجاء الحق وظهر أمر الله في يوم الغدير وهم كارهون معاندون ﴿وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ (التوبة:٤٥).

أيها الأحبّة الكرام

لقد ذكّرتهم السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بهذه الآية الكريمة فقالت (عليها السلام): (فلما اختار الله لنبيّه دار أنبيائه ومأوى أصفيائه ظهر فيكم حسكة النفاق) الى أن قالت (عليها السلام) (زعمتم خوف الفتنة ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ فهيهات منكم وكيف بكم وأنى تؤفكون وكتاب الله بين أظهركم؟ أموره ظاهرة وأحكامه زاهرة وأعلامه باهرة وزواجره لائحة وأوامره واضحة وقد خلفتموه وراء ظهوركم، أرَغبة عنه تريدون أم بغيره تحكمون ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾)(٦).

ثم بيّنت (عليها السلام) لهم خطورة الفتنة التي أحدثوها فقالت (ويحهم أنى زحزحوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة والدلالة ومهبط الروح الأمين والطبين(٧) بأمور الدنيا والدين ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾)(٨)

فتبيّن السيدة الزهراء (عليها السلام) لهم أنهم بفعلهم هذا سقطوا في قعر الفتنة وإن ادعَّوا أنهم يريدون وقاية الأمة منها ففضحت زيف دعاواهم ونواياهم الحقيقية وعظم جنايتهم على حاضر الأمة ومستقبلها حيث جَر هذا الانقلاب الويلات والكوارث على الأمة من تحريف الدين وسفك الدماء وهدر الأموال وتسلط الأشرار وتشريد الصالحين وضياع القيم والمبادئ الإنسانية وغير ذلك(٩).

وقد اعترف قادة الانقلاب بأن ما جرى في السقيفة كان فتنة تمزّق الأمة وتؤدي الى انحرافها عن طريق الصلاح والكمال لكنهم ادّعوا أنها مرّت بسلام قال عمر في كلمته المشهورة التي تناقلها المؤرخون وكتاب السير(١٠) (ان بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرها فمن دعاكم إلى مثلها فاقتلوه)(١١) وقال ابن الأثير في معنى الحديث ((أراد

التتمة في الصفحة الرابعة

---

(١) الخطاب الفاطمي السنوي الذي يلقيه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على الجموع المحتشدة في ساحة ثورة العشرين في النجف الاشرف في ذكرى استشهاد الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) يوم الأحد ٣/ جمادي الثاني / ١٤٤٢ الموافق ١٧ /١ /٢٠٢١ وهذه هي النسخة السادسة عشرة بفضل الله تعالى.

(٢) وفي رواية ابن إسحاق ((فاعرض عنه رسول الله (ﷺ) وقال: قد أذنت لك)) (٣) تفسير نور الثقلين : ٢ /٦٣٢ ح ١٦٩ عن تفسير علي بن ابراهيم

(٤) المراجعات للسيد شرف الدين: ٣٥٠ وقد نقله عن شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ٣ /١٠٧ والكامل لابن الاثير: ٣ /٢٤ في أحوال عمر (٥) تاريخ الطبري: ٣ /٢٨٩ (٦) الاحتجاج للطبرسي : ١/ ١٣١

(٧) الطبين: الفطن الحاذق العالم بالاشياء (٨) الاحتجاج للطبرسي: ١ /١٣٨

(٩) راجع تفصيل ذلك في موسوعة (خطاب المرحلة: ١ /٢٤١) خطاب بعنوان (ماذا خسرت الأمة حينما ولّت أمرها من لا يستحق) وفي تفسير (من نور القرآن: ١ /٢٠٨) في ذيل قوله تعالى ﴿أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ (آل عمران:١٤٤). (١٠) مثل تاريخ اليعقوبي وشرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد والامامة والسياسة لابن قتيبة والصواعق المحرقة لابن حجر والملل والنحل للشهرستاني.

(١١) بحار الأنوار: ٣٠ /٤٤٨

﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ (الناس:٤)

احذروا مكر شياطين الجن والإنس(١٦)

سورتا المعوذتين من كرائم السور القرآنية وفيهما بركات كثيرة روى عن رسول الله (ﷺ) قوله (من قرأها عند النوم كان في حرز الله تعالى حتى يصبح، وهي عوذة من كل ألم ووجع وآفة وهي شفاء لمن قرأها)(١٧).

وأخرج في مجمع البيان من حديث أبي (من قرأ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ فكأنما قرأ جميع الكتب التي أنزلها الله على الأنبياء)(١٨) وفيه أيضاً عن الامام الصادق (عليه السلام) قال (جاء جبرئيل إلى النبي (ﷺ) وهو شاكٍ فرقاه بالمعوذتين وقل هو الله أحد وقال: بسم الله ارقيك والله يشفيك من كل داء يؤذيك، خذها فلتهنئك).

وروى علي بن إبراهيم في تفسيره عن الامام الصادق (عليه السلام) أنه قال (كان سبب نزول المعوذتين انه وعك رسول الله (ﷺ) فنزل عليه جبرئيل (عليه السلام) بهاتين السورتين فعوذه بهما)(١٩)

ولاجل ذلك اشتبه بعض الصحابة فظنهما تعويذتين وليستا من القرآن لكن الأئمة (عليهم السلام) صححوا هذا الاشتباه، فقد روى القمي في تفسيره بسنده عن الحضرمي قال (قلت لأبي جعفر (عليه السلام): ان ابن مسعود كان يمحو المعوذتين من المصحف) فقال (عليه السلام): كان أبي يقول: إنما فعل ذلك ابن المسعود برأيه وهما من القرآن)(٢٠) وفي رواية أخرى (أمّنا أبو عبدالله (عليه السلام) في صلاة المغرب فقرأ المعوذتين ثم قال: هما من القرآن)(٢١).

والسورتان عظيمتا البركة والتأثير وقد دخلتا في عدد كبير من السنن والمستحبات روي عن الامام الصادق (عليه السلام) قوله (كان النبي (ﷺ) اذا كسل أو أصابته عين أو صداع بسط يديه فقرأ فاتحة الكتاب والمعوذتين ثم يمسح يده على وجهه فيذهب ما كان يجده)(٢٢)، روي عن الامام الباقر (عليه السلام) قوله (من أوتر بالمعوذتين وقل هو الله أحد) قيل له: يا عبدالله، أبشر فقد قبل الله وترك)(٢٣).

والوسوسة: الحديث الخفي في باطن الانسان الذي لا كلام فيه وإنما هي معاني تخطر في الذهن وتسويلات وأوهام تلقى في مخيلة الإنسان ليقع تحت تأثيرها ويسير باتجاه امتثالها قبل التدقيق فيها لتمييز صوابها من خطأها، وعدم تحكيم العقل الرادع عنها.

وهذه الوساوس قد يكون مصدرها النفس الأمّارة بالسوء ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ (ق:١٦) أو ابليس ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ (الأعراف:٢٠) أو عموم شياطين الأنس والجن ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۞ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۞ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ (الناس:٤-٦)، في امالي الصدوق بإسناده عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ (آل عمران:١٣٥) صعد إبليس جبلاً بمكة يقال له ثور، فصرخ بأعلى صوته بعفاريته فاجتمعوا إليه. فقالوا: يا سيدنا، لم دعوتنا؟ قال: نزلت هذه الآية، فمن لها؟ فقام عفريت من الشياطين، فقال: أنا لها بكذا وكذا. قال: لست لها. فقام آخر فقال مثل ذلك، فقال: لست لها. فقال الوسواس الخناس: أنا لها. قال: بماذا؟ قال: أعدهم وأمنيهم حتى يواقعوا الخطيئة، فإذا واقعوا الخطيئة أنسيتهم الاستغفار، فقال: أنت لها، فوكله بها إلى يوم القيامة)(٢٤).

وفي مقابل هذه الوسوسة يوجد حديث خفي رحماني يوجه الانسان نحو الخير والصلاح يسمى الهاماً أو ايحاءاً ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ (القصص:٧) ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ (الأنبياء:٧٣).

وهو من الالطاف الإلهية التي تجلب الخير والسعادة للإنسان ويتدافع هذان الحديثان داخل الانسان كسائر جنود الرحمن والشيطان البالغ خمسة وسبعين لكل منهم(٢٥) وفي الحديث الشريف عن الامام الصادق (عليه السلام) قال (ما من قلب الا وله أذنان، على أحدهم ملك مرشد وعلى الآخر شيطان مفتّن، هذا يأمره وهذا يزجره، وكذلك من الناس شيطان يحمل الناس على المعاصي، كما يحمل الشيطان من الجن)(٢٦).

هذا التدافع يحسُّه كل واحد منّا إزاء مختلف المواقف التي يواجهها والانسان بأختياره يرّجح هذا الدافع او ذاك، وممن عبّر عن هذه الحالة عمر بن سعد ليلة تكليفه بقيادة الجيش لحرب الامام الحسين (عليه السلام) بأبياته المعروفة ومنها:

أأترك ملك الري والري منيتي
أم ارجع مأثوماً بقتل حسينِ

روى الشيخ الكليني(٢٧) بسند صحيح عن الامام الصادق (عليه السلام) قال (ما من مؤمن الا ولقلبه أذنان في جوفه، أذن ينفث فيه الوسواس الخناس، وأذن ينفث فيه الملك فيؤيد الله المؤمن بالملك فذلك قوله تعالى ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ (المجادلة:٢٢).

والخنس: الاستتار والتخفي بعد الظهور والانقباض والتراجع والتأخر والابتعاد، قال تعالى ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾ (التكوير:١٥) وهي النجوم اذا غابت وسمي الشيطان خناساً لأنه ينقبض ويتراجع عن وسوسته عندما يُذكر الله تعالى وتبعه على ذلك شياطين الانس ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ (الزمر:٤٥) وقد ورد في الحديث الشريف عن النبي(ﷺ) ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فاذا ذكر الله سبحانه خنس واذا نسي التقم قلبه فذلك الوسواس الخناس)(٢٨).

فالآية الكريمة تبين طبيعة عمل الشيطان وحدود تأثيره على الانسان اذ لا يزيد عمله على الوسوسة مستتراً متخفيّاً مبتعداً عمَّن يوسوس له، لذا فالانتصار عليه مقدور بترك الانسياق وراء وسوسته وتزيينه، ويعترف الشيطان يوم القيامة بانه لم يقم بغير هذا ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم﴾ (إبراهيم:٢٢)، روى علي بن ابراهيم في تفسير الوسواس الخناس ((اسم الشيطان الذي في صدور الناس يوسوس فيها ويؤيسهم من الخير ويعدهم الفقر، ويحملهم على المعاصي والفواحش، وهو قول الله عزوجل ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ (البقرة:٢٦٨)(٢٩).

فيأمر الله تعالى نبيه (ﷺ) ومن خلاله الناس جميعاً ان يستعيذ بالله تعالى من شر هذا الوسواس المخادع ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا﴾ (الأعراف:٢٠)

وهو يأمل من وسوسته انه حتى لو لم ينجح في إضلال الشخص وايقاعه في المعصية فلا أقل من تشويش ذهنه واضطراب نفسه وتضييع وقته وزيادة همه، قال تعالى ﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (المجادلة:١٠).

وتُعلمنا السورة ان لا طريق للتخلص من تأثيرات هذه الوساوس الشيطانية الا باللجوء الى الله تبارك وتعالى حتى النبي (ﷺ) المعصوم طلب منه ذلك لأنه ما كان ليصل إلى هذه المرتبة لو لا لطف الله تعالى وتأييده ﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ (الإسراء:٧٤) فغيره (ﷺ) أولى بهذه الاستعاذة بالله تعالى. لأنه سبحانه جامع لكل ما يوجب اللجوء اليه والاستعاذة به.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَٰهِ النَّاسِ﴾ (الناس:١-٣) فان من طبع الإنسان إذا أقبل عليه شر يحذره ويخافه على نفسه وأحسَّ من نفسه الضعف أن يلتجئ بمن يقوى على دفعه ويكفيه وقوعه، والذي يراه صالحاً للعوذ والاعتصام به أحد ثلاثة إما رب يلي أمره ويدبره ويربيه ويرجع إليه في حوائجه عامة، ومما يحتاج إليه في بقائه دفع ما يهدده من الشر، وهذا سبب تام في نفسه.

وإما ذو قوة وسلطان بالغة قدرته نافذ حكمه يجيره إذا استجاره فيدفع عنه الشر بسلطته كملك من الملوك، وهذا

التتمة في الصفحة الثالثة

---

(١٦) كلمة القاها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) يوم الجمعة ١٧/ج١ /١٤٤٢ الموافق ١ /١ /٢٠٢١ (١٧) البرهان في تفسير القرآن: ١٠ /٢٨١ (١٨) مجمع البيان: ١٠ /٢٧٨

(١٩) تفسير القمي: ٢ /٤٥٠ (٢٠) تفسير القمي: ٢ /٤٥٠ (٢١) الكافي: ٣ /٣١٧ ح ٢٦ (٢٢) مكارم الأخلاق: ٢ /٢٠٣ ح ٢٥٢٣ (٢٣) ثواب الأعمال:١٢٩ (٢٤) امالي الصدوق: ١ /٥٥١

(٢٥) الكافي- ط الإسلامية: ج: ١ ص : ٢١ (٢٦) تفسير القمي: ٢ /٤٥٠ (٢٧) الكافي: ٢ /٢٠٦ ح ٣ (٢٨) مجمع البيان: ١٠ /٢٨١ (٢٩) البرهان: ١٠ / ٢٨١ ح ١

أيضاً سبب تام مستقل في نفسه.

وهناك سبب ثالث وهو الإله المعبود فإن لازم معبودية الإله وخاصة إذا كان واحداً لا شريك له إخلاص العبد نفسه له فلا يدعو إلا إياه ولا يرجع في شيء من حوائجه إلا إليه فلا يريد إلا ما أراده ولا يعمل إلا ما يشاؤه.

والله سبحانه رب الناس وملك الناس وإله الناس كما جمع الصفات الثلاث لنفسه في قوله ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ (الزمر:٦)(٣٠).

أقول: ولعل عدم العطف بينهما بالواو للإشارة إلى استقلالية كل صفة في السببية.

ويحتمل في مقابل ذلك أن يكون كل سبب لاحق مكمل للاحق فان الرب والمربي قد لا يقدر على إجارة من يربيه من كل سوء الا أن يكون عنده الملك والسلطنة والقدرة وهذا أيضاً قد يعجزه شيء ما الا اذا كان إلهاً حكيماً عليماً قادراً مهيمناً.

والاستعاذة لا يكفي فيها تحريك اللسان من دون تعلق صادق بالله تعالى والتزام بما أمر به تعالى من شريعة وأحكام وسلوك ومعتقدات ونظام متكامل للحياة منهجاً وسلوكاً، غاية وأدوات والابتعاد عن أصدقاء السوء وأبواق الشيطان ومجالس اللهو والباطل التي تكون مرتعاً للشياطين.

((على المستعيذ الحقيقي ان يقرن قوله (رَبِّ النَّاسِ) بالاعتراف بربوبية الله تعالى، وبالانضواء تحت تربيته، وان يقرن قوله ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ بالخضوع لمالكيته، وبالطاعة التامة لأوامره، وان يقرن قوله ﴿إِلَٰهِ النَّاسِ﴾ بالسير في طريق عبوديته، وتجنب عبادة غيره، ومن كان مؤمناً بهذه الصفات الثلاثة، وجعل سلوكه منطلقاً من هذا الايمان فهو دون شك سيكون في مأمن من شر الموسوسين))(٣١).

علينا ان لا نستهين بوسوسة الشياطين ولا نقلل من تأثيرهم لأنهم يزينون الأعمال القبيحة ويصورونها وكأنها نافعة لهم وفي مصلحتهم ويلبسون الباطل ثوب الحق بطرق ماكرة خفية تنطلي على الشخص نفسه، في الحديث الشريف عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (إنما سميت الشبهة شبهة لأنها تشبه الحق فأما أولياء الله فضياؤهم فيها اليقين ودليلهم سمت الهدى، واما أعداء الله فدعاؤهم فيها الضلال ودليلهم العمى)(٣٢).

وهكذا تختلط الأمور بسبب وسوسة الشياطين قال أمير المؤمنين (عليه السلام) (فلو أن الباطل خلص من مزاج الحق لم يخف على المرتادين - أي الطالبين - ولو أنّ الحق خلص من لبس الباطل انقطعت عنه ألسن المعاندين، ولكن يؤخذ من هذا ضغث - أي قبضة - ومن هذا ضغث فيمزجان، فهناك يستولي الشيطان على اوليائه وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى)(٣٣) وقال (عليه السلام) (احذروا الشبهة فانها وضعت للفتنة)(٣٤).

والوسوسة لها درجات وانماط كثيرة بحسب مناعة الشخص وورعه فبعضهم يغريه بالمعصية مباشرة كتزينه العلاقة مع امرأة أجنبية لذا ورد في التحذير من الخلوة بالمرأة عن النبي (ﷺ): (لا يخلون رجل بإمرأة فما من رجل خلا بامرأة إلاّ كان الشيطان ثالثهما)(٣٥).

أو انه مؤتمن على مال أو موقع فيزين له أن يمدّ يده إليه ويحوّله الى مغانم شخصية على حساب الشعب أو من ائتمنه عليه.

وقد يكون الشخص ورعاً فلا يغريه بالمعصية وإنما يأتيه من جهة تدينه وورعه فيدعوه تحت عنوان الاحتياط إلى التشدّد في العبادات والمبالغة وعدم القناعة بالأعمال التي يؤديها فيعيدها ويلّح فيها لكي يتعبه ويرهق اعصابه ويضيّع وقته وينفّره من العبادات.

روى الشيخ الكليني (قدس سره) بسند صحيح عن عبدالله بن سنان قال (ذكرت لأبي عبدالله (عليه السلام) رجلاً مبتلى بالوضوء والصلاة، وقلت: هو رجل عاقل، فقال أبو عبدالله (عليه السلام): واي عقل له وهو يطيع الشيطان؟ فقلت له: وكيف يطيع الشيطان؟ فقال: سله: هذا الذي يأتيه من أي شيء هو؟ فيقول لك: من عمل الشيطان)(٣٦).

ونحن نرى اليوم شياطين الانس يلبسون مشاريعهم الخبيثة التي تدعو الى الابتعاد عن الله تعالى ونبذ القيم الدينية والاجتماعية السامية وتفكيك أواصر الاسرة والمجتمع والدعوة الى الشهوات والانفلات تحت عناوين خادعة، ولو أنهم اظهروا صورهم الحقيقية أمام الناس وتحدّثوا بصراحة عما يريدون لرفضوهم وطردوهم، مسخرين امكانياتهم المالية والإعلامية ومؤسساتهم واقلامهم وكُتابهم ومؤتمراتهم ومهرجاناتهم لخلط السم بالعسل وتسويق خططهم الشيطانية فيندفع وراءها كثير من المخدوعين والسذّج الذين لم يلتجأوا الى الله تعالى ولم يتحصنوا به من مكرهم وخبثهم، وقد يستعمل الطواغيت المتسلطون قوتهم العسكرية وأدوات بطشهم وقسوتهم أي القوة الخشنة مضافاً إلى القوى الناعمة لإجبار الشعوب على التخلي عن دينها.

لقد كثرت وصايا المعصومين (عليهم السلام) بالامتناع عن السير وراء من لم تعرف صلاحهم وحجتهم البالغة من الله تعالى لنكون في مأمن من شر الموسوسين، وحذرونا من اقتحام الأمور المشتبهة، فروي عن رسول الله (ﷺ) قوله (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فمن رعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه)(٣٧) وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (لا ورع كالوقوف عند الشبهة)(٣٨) وعنه (عليه السلام) (حلال بيّن وحرام بيّن وشبهات بين ذلك فمن ترك ما اشتبه عليه من الاثم فهو لما استبان له أترك)(٣٩).

ان الوسوسة قد تتحول الى حالة مرضية غير طبيعية شخّصها الطب وتسمى بالوسواس القهري، وقد ذكرت الروايات بعض العلامات التي تكشف بلغة الجسد عن ان صاحبها مبتلى بدرجة من درجات الوسوسة كالحديث الذي رواه الشيخ الصدوق في الخصال فيما أوصى به النبي (ﷺ) علياً (عليه السلام) (يا علي ثلاث من الوسواس: أكل الطين وتقليم الأظافر بالأسنان وأكل اللحية)(٤٠).

فبعض الناس يبتلى بالوسوسة في عقيدته وتتحدث نفسه معه بأحاديث الكفر في ذات الله تعالى فيظن انه لم يعد مؤمناً والحقيقة غير ذلك بدليل رفضه لهذا الحديث الباطني، فقد روى الشيخ الصدوق بسند صحيح عن عبدالله بن سنان قال (كنّا جلوساً عند ابي عبدالله (عليه السلام) اذ قال له رجل: أتخاف عليَّ أن أكون منافقاً؟ فقال له: اذا خلوت في بيتك نهاراً أو ليلاً أليس تصلي؟ فقال: بلى: فقال فلمن تصلي؟ قال: لله عزوجل، فقال: فكيف تكون منافقاً وأنت تصلي لله عزوجل لا لغيره)(٤١).

وان كثيراً من الناس يبتلى بالوسوسة في صلاته ووضوئه وطهارته ويلبسّها عليه الشيطان باعتقاد انها من الاحتياط الحسن واتقان العمل والأمر غير ذلك كما تقدم في الرواية عن الامام الصادق (عليه السلام) في الرد على من اعتبرها من العقل.

ويبتلى آخرون بالوسوسة في علاقاتهم مع الاخرين فيشك في زوجته ويتهمها بالخيانة الزوجية ويحاول اقناع نفسه بأدلة تضحك الثكلى وآخر يشك في بنته وكم من سلطان شك في ان ابنه يتآمر عليه فيأمر بقتله كالشاه عباس الصفوي وآخرون يبتلون بالوسواس في حياتهم العامة فتراه ينجز عملاً ما ثم يشك هل قام به ام لا ونحو ذلك.

قاعدة عامة (عليهم السلام) وقد وضع الأئمة للقضاء على هذه الحالة صاغها الفقهاء بقولهم (لا شك لكثير الشك)(٤٢) و(كثير الشك لا يعتني بشكه) فالعلاج ان يعرض عن هذه الوساوس ولا يلتفت اليها ويهملها ولا يرتب عليها أي اثر فانها ستزول بإذن الله تعالى اما اذا استجاب لها وبنى عليها عملياً واقتنع بها فانها ستتركز وتتعمق في نفسه حتى تصبح شغله الشاغل ولا تفارقه حتى تخرّب عليه دينه وتنكد حياته وتحرمه من الاستقرار وراحة البال، إذا تطيرت فامض، وإذا( ) (ﷺ) (قال ظننت فلا تقض)(٤٣) أي اذا حصل عندك شك وتردد ووسوسة فلا تلتفت اليه وامضِ الى ما عزمت عليه.

كما تضمنت الروايات ذكر بعض الأغذية المفيدة في دفع الوسوسة كالذي رواه الشيخ الكليني في الكافي بسنده عن الامام الصادق (عليه السلام) قال (من أكل حبة من الرمان أمرضت شيطان الوسوسة أربعين يوماً)(٤٤).

---

(٣٠) الميزان في تفسير القرآن: ٢٠ /٤٥٨ (٣١) الأمثل: ١٥ /٦٢٧ (٣٢) نهج البلاغة: الخطبة ٣٨ (٣٣) نهج البلاغة: الخطبة ٥٠ (٣٤) تحف العقول : ١٥٥

(٣٥) جامع أحاديث الشيعة، ج٢٠، ص٣٠٩. (٣٦) وسائل الشيعة: ١ /٦٣ ، باب ١٠ ح ١ (٣٧) ميزان الحكمة: ٤ /٣٦١ ح ٩٢٩٣ (٣٨) نهج البلاغة : الحكمة: ١١٣

(٣٩) من لا يحضره الفقيه: ٤ /٧٥ ح ٥١٤٩ (٤٠) بحار الأنوار: ٧٦ /١٠٨ (٤١) وسائل الشيعة: ١/٦٠ ، باب ٨ ح ٦

(٤٢) تعبيران عن قاعدة فقهية معروفة، قد ذُكرت في أغلب بحوث القواعد الفقهية, وكذلك وردت كثيراً على لسان الفقهاء, ولم يخدش فيها أحد منهم؛ مما يدل على قبولها. أنظر: البجنوردي، محمد حسن، القواعد الفقهية: ج٢، ص٣٤٥

(٤٣) وسائل الشيعة: ١٨ /٣٨ (٤٤) الكافي: ٦ /٣٥٣

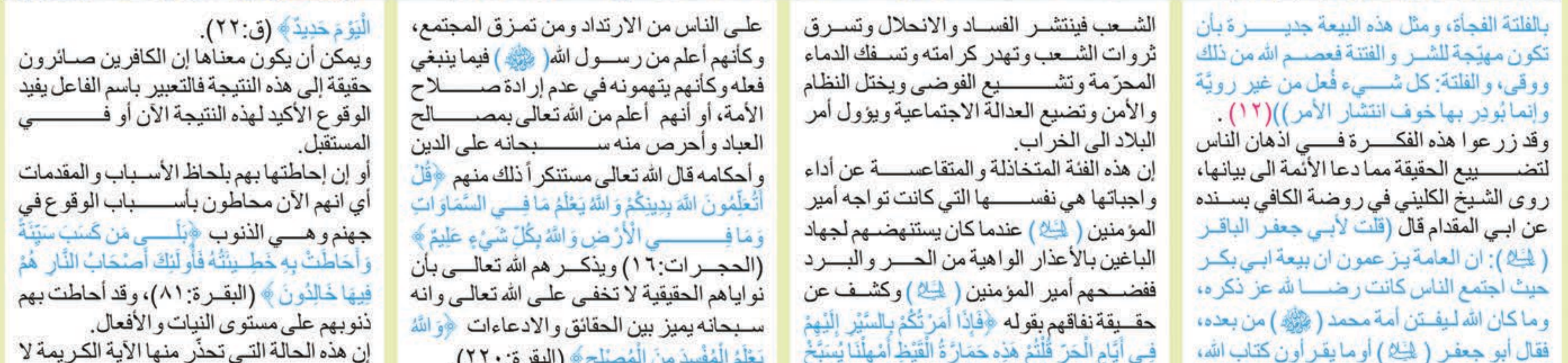

بالفلتة الفجأة، ومثل هذه البيعة جديرة بأن تكون مهيّجة للشر والفتنة فعصم الله من ذلك ووقى، والفلتة: كل شيء فُعل من غير رويَّة وإنما بُودِر بها خوف انتشار الأمر))(١٢).

وقد زرعوا هذه الفكرة في اذهان الناس لتضييع الحقيقة مما دعا الأئمة الى بيانها، روى الشيخ الكليني في روضة الكافي بسنده عن ابي المقدام قال (قلت لأبي جعفر الباقر (عليه السلام): ان العامة يزعمون ان بيعة ابي بكر حيث اجتمع الناس كانت رضا لله عز ذكره، وما كان الله ليفتن أمة محمد (ﷺ) من بعده، فقال أبو جعفر (عليه السلام) أوما يقرأون كتاب الله، أوليس الله يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران:١٤٤))(١٣).

وأي فتنة أعظم من تصدي غير المؤهلين لقيادة الأمة والتسلط على رقاب الناس في ذلك الزمان وفي كل زمان سواء بالخداع والمكر أو بالتضليل الإعلامي أو بالانقلابات العسكرية أو عبر الانتخابات المزورة أو باستخدام المال السياسي المسروق من قوت الشعب فينتشر الفساد والانحلال وتسرق ثروات الشعب وتهدر كرامته وتسفك الدماء المحرّمة وتشيع الفوضى ويختل النظام والأمن وتضيع العدالة الاجتماعية ويؤول أمر البلاد الى الخراب.

إن هذه الفئة المتخاذلة والمتقاعسة عن أداء واجباتها هي نفسها التي كانت تواجه أمير المؤمنين (عليه السلام) عندما كان يستنهضهم لجهاد الباغين بالأعذار الواهية من الحر والبرد ففضحهم أمير المؤمنين (عليه السلام) وكشف عن حقيقة نفاقهم بقوله ﴿فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الْحَرِّ قُلْتُمْ هَذِهِ حَمَارَّةُ الْقَيْظِ أَمْهِلْنَا يُسَبَّخْ عَنَّا الْحَرُّ وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ هَذِهِ صَبَارَّةُ الْقُرِّ أَمْهِلْنَا يَنْسَلِخْ عَنَّا الْبَرْدُ كُلُّ هَذَا فِرَاراً مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ تَفِرُّونَ فَأَنْتُمْ وَاللَّهِ مِنَ السَّيْفِ أَفَرُّ﴾(١٤).

إن فتنة هذه التبريرات تكون أخطر حينما تُغلّف بدعوة دينية كما في دعوى هؤلاء المنافقين الذين ذكرتهم الآية فأنهم يريدون التفريق بين الرسول والرسالة فيعصون الرسول ويزعمون أن ذلك من حرصهم على الالتزام بالرسالة كادعائهم الخوف من الفتنة عن الدين أو دعوى أصحاب السقيفة خوفهم على الناس من الارتداد ومن تمزق المجتمع، وكأنهم أعلم من رسول الله(ﷺ) فيما ينبغي فعله وكأنهم يتهمونه في عدم إرادة صلاح الأمة، أو أنهم أعلم من الله تعالى بمصالح العباد وأحرص منه سبحانه على الدين وأحكامه قال الله تعالى مستنكراً ذلك منهم ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الحجرات:١٦) ويذكرهم الله تعالى بأن نواياهم الحقيقية لا تخفى على الله تعالى وانه سبحانه يميز بين الحقائق والادعاءات ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ (البقرة:٢٢٠).

وختمت السيدة الزهراء (عليها السلام) تحذيرها بالعاقبة التي ذكرتها الآية الكريمة ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ فهم محاطون بالنار من جميع الجهات ولا يستطيعون التخلص منها، والتعبير باسم الفاعل (لمحيطة) الذي يدل على فعلية الاتصاف يعني انهم الآن واقعون حقيقة في نار جهنم التي أججّوها بمعاصيهم(١٥) الا انهم لغفلتهم لا يشعرون بها ككثير من الحقائق التي هم غافلون عنها ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (ق:٢٢).

ويمكن أن يكون معناها إن الكافرين صائرون حقيقة إلى هذه النتيجة فالتعبير باسم الفاعل يفيد الوقوع الأكيد لهذه النتيجة الآن أو في المستقبل.

أو إن إحاطتها بهم بلحاظ الأسباب والمقدمات أي انهم الآن محاطون بأسباب الوقوع في جهنم وهي الذنوب ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة:٨١)، وقد أحاطت بهم ذنوبهم على مستوى النيات والأفعال.

إن هذه الحالة التي تحذّر منها الآية الكريمة لا تختص بواجب الجهاد بل سائر المسؤوليات الشرعية حيث تجد الذين في إيمانهم نقص وفي قلوبهم شك يقدمون أعذاراً واهية لا تخفى على من يستمع إليها وربما سوّقوها بعناوين دينية وقد يكون صاحبها ممن له اطلاع على الفقه فيغلفها بمصطلحات دينية لتمريرها لكن أعذارهم ونواياهم الحقيقة لا تخفى على الله تعالى ولا على الواعي الفطن، أعاذنا الله تعالى وإياكم من الفتنة.

---

(١٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣ /٤٦٧ مادة (فلت). (١٣) نور الثقلين: ١ /١٦٤ ح ١٠١٥. (١٤) نهج البلاغة: نهج البلاغة: ١ /٧٠

(١٥) وفي الحديث إن رسول الله (ﷺ) كان قاعداً مع أصحابه فسمعوا هدّة عظيمة فارتاعوا فقال رسول الله (ﷺ) أتعرفون ما هذه الهدّة، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: حجر ألقي من أعلى جهنم منذ سبعين سنة وصل الآن الى قعرها وسقوطه فيها هذه الهدة فما فرغ من كلامه الا والصراخ في دار منافق من المنافقين قد مات وكان عمره سبعين سنة فكبّر رسول الله (ﷺ) وعلم الحاضرون أن الحجر هو ذلك المنافق الذي كان يهوي في جهنم مدة عمره فلما مات استقر في قعرها (حكاه السيد عبدالله الجزائري في كتاب (التحفة السنية:١٧) عن كتاب اليقين للفيض الكاشاني: ٢ /١٠٠٢ ،أقول: أصل الحديث رواه مسلم في صحيحه ص ١٠٠٧ رقم ٢٨٤٤ .

يمكنكم إرسال إستفتاءاتكم على عنوان مكتب المرجع الديني سماحة الشيخ محمد ال
العراق / النجف الأشرف / نهاية شارع الرسول (ﷺ) أو على عنوان البريد الألكتروني : com
موقعنا على الأنترنت : www.yaqoobi.com

جميع الحقوق محفوظة لموقع سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي